مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 11 عدد: 2 السنة: 2022
ص: 358 - 376 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

أثر توظيف التراث الصحراوي في رواية التبر لإبراهيم الكوني

The Impact of Employing Desert Heritage in a Novel (Altibr) by Ibrahim Al Kouni.

(ط . د) عبد الكريم نفيس[1] / أ . د محمد بكادي[2] *

Abdelkrim Naffis [1] / Mohammed Bakadi [2]

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست،

جامعة تامنغست . الجزائر

University Of Tamanghasset Algeria

a.nefis@univ-tam.dz [1] mohamedbakadi@gmail.com [2]

تاريخ الإرسال: 2022/02/24	تاريخ القبول: 2022/03/22	تاريخ النشر: 2022/06/02

ملخص البحث

كان التّراث الصّحراوي ولا يزال وسيظل من أهم الموروثات المؤثرة في الشّكل السّردي الروائي؛ كونه أحد الجماليات الروائية الفاعلة في هذا الجنس الأدبي النثري، لما له من أهمية في تفعيل وإثراء المقاطع الحكائية وعلاقاتها بالشّخصيات والأحداث والأزمنة والمكان.

ولعلّ من بين المبدعين الذين خاضوا هذه التّجربة . وهي توظيف التراث الصّحراوي . في السّرد المغاربي لاسيما في الرواية هو الأديب والكاتب والروائي الليبي إبراهيم الكوني. في كثير من أعماله الأدبية التي جعلت الكثير من المهتمين بإبداعاته من التّعرّف على التّراث وفهم كنهه، خاصة ما تعلق منه بالصّحراء وشعابها الواسعة والممتدة الأطراف.

ومرادي من هذه الدّراسة الموسومة بـ (أثر توظيف التراث الصّحراوي في رواية "التبر" لإبراهيم الكوني . هو الوقوف على أحد أهم الموروثات التي ساهمت في تطور وارتقاء هذا النّوع الأدبي، الذي شهد انتشارا ورواجا واسعا أوساط أدباء الوطن العربي المغاربي، وذلك من خلال التّطرق لأحد رواده، وهو الأديب والروائي إبراهيم الكوني الذي له فضل كبير في ازدهار السّرد العربي في البلدان المغاربية.

الكلمات المفتاحية: تراث صحراوي، رواية مغاربية، إبراهيم الكوني، رواية التبر.

* عبد الكريم نفيس: krimo13tam@gmail.com

Abstract:

The desert heritage was, is and will remain one of the most important legaceis affecting the narrative form; as it is one of the active narrative aesthetics in this literary prose genre, because of its importance in activating and enriching the narrative passages and their relationships with characters, events, times and place.

Perhaps among the creators who went through this experience. It is the employment of the Saharan heritage. In the Maghreb narration, especially in the novel, is the Libyan writer and novelist Ibrahim Alkouni. From the desert and its vast and extended reefs.

What I want from this study, which is tagged with (the impact of employing desert heritage in the novel of "Atteber" by Ibrahim Alkouni). one of its pioneers, the writer and novelist Ibrahim Alkouni, who has great merit in the flourishing of Arabic narratives in the Maghreb countries.

Key words: desert heritage, Maghreb novel, Ibrahim Alkouni, the novel of Atteber.

المقدمة:

يعد فن الرواية من الفنون النثرية الحديثة التي عرفها الوطن العربي "فهي حديثة نسبيا، لم يمض على استوائه على سوقه، ناضجا أكثر من ثلاثة قرون في العالم الغربي، ولا أكثر من قرن ونصف في عالمنا العربي"[1]، فهي إبداع نثري له خصوصيته نظرا لما يتناوله من مواضيع مختلفة ومتنوعة من جهة، ومن جهة أخرى خصائصها التي تميزت بها وتنطلق منها؛ كالأفكار والشّخصيات وبناء الأحداث والمواقف وتشكل الزّمان والمكان، فهي فضاء نثري أوسع وأرحب من النّص الشّعري؛ إذ يجد المبدع في هذا الفن النّثري ما لا يجده الشّاعر في نصه، فالسّارد ليس مقيد بوزن ولا بقافية ولا بحرف رويّ، وإنّما هو حرّ في مداعبته للألفاظ والعبارات، وفي طريقة سبكها وإصباغ النّبرات الصّوتية عليها.

فعالم الرواية لاسيما الرواية المغاربية، عالم فني إبداعي جميل، "يصوّر فيه المبدع الأحداث الواقعية بطريقة سردية خيالية وأحيانا أسطورية، اتسمت بتوظيف مخزون الذّاكرة الجمعية من مبالغات وأمثال وصور وتلميحات"[2]، كما تميزت الرواية المغاربية "بإنتاج كتب باللغة الفرنسية لأسباب تاريخية وسوسيو ثقافية

تخص الجزائر ثم المغرب فتونس بدرجة أقل، وتشهد موريتانيا بدورها ظهور أدب ناطق بالفرنسية"[3]، ولكن تبقى اللغة الرّسمية للرواية المغاربية هي اللغة العربية، والتي بسببها تطور السّرد المغاربي ورسم مكانه عاليا بين الآداب العالمية .

ولعلّ أهم ما ميّز بعضا من الروايات المغاربية هو توظيفها للتراث الصّحراوي، وهو تراث لم يتناوله إلّا فئة قليلة من المبدعين والمهتمين بهذا الموروث المتميز، على الرّغم من غزارته وكثافته وفُسحة مجاله. ومن أهم هؤلاء الكتاب الذين وظفوا هذا التراث في أعمالهم وساهم في انجاحها _حسب اعتقادنا _ هو الكاتب والروائي العالمي اللبيبي ابراهيم الكوني .

وهذا البحث محاولة لتسليط الضوء على ذلك التوظيف وعلى الاثر الذي خلفه في أعماله الابداعية متخذا من روايته التبر عينة وأنموذجا للدراسة. وذلك من خلال محاولتي الاجابة على اشكالية جوهرية وهي: ما أثر توظيف التراث الصحراوي في الرواية المغاربية وهي الإشكالية التي سأتطرق الإجابة عنها من خلال المحاور الاتية :

1 . ماهية التّراث الصّحراوي

2 . تعريف الرواية المغاربية وخصائصها

3 . التّعريف بإبراهيم الكوني وبأهم أعماله

4 . تجليات أثر توظيف التراث الصّحراوي في رواية التّبر.

أولا. ماهية التراث الصحراوي

حظي التراث بمفاهيم وتعريفات كثيرة، فهناك من عرّفه بأنّه "هو الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي، الرّسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب"[4]، فهذا التعريف شامل لمختلف جوانب التراث الاجتماعية والثقافية والمادية. ويعرّف أيضا بأنّه "ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد، وعادات، وتجارب، وخبرات، وفنون، وعلوم، في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني، والسياسي، والتّاريخي، والخلقي، ويوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه"[5]، ويظهر التراث فيبرز في "آثار الأدباء والفنّانين، فتصبح هذه الآثار محصّلا لانصهار معطيات التراث وموحيات الشخصية الفردية"[6].

ومن خلال هذه التعريفات يمكننا القول أن التراث الصحراوي، هو : تلك العادات والتقاليد والتجارب والخبرات والفنون والعلوم والثقافات التي وصلتنا من الأجيال الغابرة التي سكنت الصحراء ،

وسكنتها الصحراء، ويقسم التراث الصحراوي إلى قسمين؛ تراث صحراوي مادي، وتراث صحراوي غير مادي، فأمّا التراث الصحراوي غير المادي فيتمثل في الأمثال والحكم الشعبية، كالمثل الشعبي الشّائع بين سكان صحراء الجزائر القائل: (اخرج لربي عريان يكسيك)، والعادات والتقاليد الخاصة بحفلات الأعراس والختان، وتسمية المولود، والأعياد والمناسبات الدّينية، وكذلك الرّقصات الفلكلورية كرقصة "سبيبة" في جانت والتي تقام في يوم عاشوراء، ويضاف إلى التراث الصحراوي الألعاب الشعبية، مثل كرة المولود التي تقام في تمنغست بمناسبة ذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وغيرها كثير.

وأمّا التراث الصحراوي المادي فمتمثل في مظاهر الطبيعة التي خصّ الله سبحانه وتعالى بها بعض أقاليم الصحراء الكبرى، ونذكر على سبيل المثال المتحف الطبيعي بطاسيلي ناجّر، والمتميز بصخوره المنقوشة برسومات ورموز وحروف تيفناغ، وتعتبر المخطوطات من التراث الصحراوي المادي، ويشتهر بهذا التراث منطقة (توات)، فهي تحمل الكثير من المعارف والمعلومات والآثار التّاريخية، والقصائد الشعرية، ضف إلى ذلك الصّناعات التقليدية كالنسيج والفخّار والحلي والجلود، واللباس التقليدي، وكذا الأكلات الشعبية التقليدية، كالأكلة المعروفة ب(تقلة).

ثانيا. الرواية المغاربية؛ التعريف والخصائص:

لقد أثار مصطلح (الرواية المغاربية)، الكثير من أراء النقاد المختلفة ، الأمر الذي جعل الغموض يحيط بهذا المصطلح، ونحن هنا لسنا بصدد عرض تلك الاختلافات التي كان سببها . في اعتقادنا . سيطرة المستعمر الفرنسي على الإنسان المغاربي وأفكاره في فترة من الفترات الزمنية.

فالرواية المغاربية "حديثة العهد من حيث النّشأة والتكوين والتطور قياسا إلى مثيلتها في المشرق العربي. ويعتبر تكونها حصيلة تطورات اجتازتها أشكال تعبيرية شبه روائية مثل القصص التّاريخي والسّيرة الذّاتية"[7]، ولم يختلف النقاد في حداثة ظهور الرواية المغاربية في أقاليم المغرب العربي "فهي حديثة الظهور بالرغم من وجود تراث سردي لدى هذه الشعوب تشترك في بعضه مع دول المشرق العربي، وتتميز في بعض آخر بفعل تميزها التّاريخي"[8]، ولكن بعد ظهورها انطلقت انطلاقة متميزة وسريعة، مستمدة سردياتها من أصالة تراثها الثقافي والتّاريخي، "وإذا كانت نشأة الرواية متأخرة نسبيا في أقطار المغرب العربي، فإنّ تطورها كان سريعا، إذ أن فترة السبعينات من القرن العشرين كانت فترة تشكل التجربة الروائية المغاربية التي تحطمت معها مقولة المشرق بضاعتنا ردّت إلينا بل صرنا أمام تطور فعلي في مجال السرديات إبداعا ونقدا من جهة، وإبداعيا وتلقيا من جهة أخرى"[9].

وتبقى الرواية المغاربية هي تلك الأعمال الروائية النّاتجة عن أدب البلدان المغاربية ، سواء تلك الروايات التي كتبت باللغة العربية أو التي كتبت بغيرها، والتي عرفت تطورات سياقية ونسقية حيث ملئت المكتبات المغاربية والعربية والعالمية بهذا النتاج النثري، فحظيت بقراءات ودراسات في السّاحة الدّولية العربية والعالمية على حدّ السواء.

وقد تميزت الرواية المغاربية بخصائص مكنتها من حجز مكان جدّ راق على المستوى العربي وعلى المستوى العالمي كذلك، ومن هذه الخصائص تنوع الروايات نتيجة تنوع المرجعيات الثقافية وكذا تنوع اللغات في الكتابة، وعلى رأسها اللغة الفرنسية التي جعلها بعض الروائيين لغة أعمالهم الابداعية الادبية ، أمثال "كاتب ياسين" من الجزائر، و"إدريس الشرايبي" من المغرب، و"ألبير ميمي" من تونس، و"موسى ولد أبنو" من موريتانيا، لفترة زمنية من التّاريخ، وبخروج المستعمر الفرنسي من بلاد المغرب عادت الرواية المغاربية إلى لغتها الرّسمية وهي اللغة العربية.

وإذ نجد الرواية المغاربية متشابهة ذلك أنّها نتاج أدبي "يجسد ويصدر عن قواسم مشتركة تعتبر ثمرة استلهام الأدباء لنفس السياق السّياسي والسوسيو ثقافي، وثمرة استلهام لنفس المتخيّل ولنفس الذّاكرة اللغوية المشتركة، الغنية والمتجذرة في المقدّس والدّنيوي، والمدون والشّفوي منذ قرون"[10]، كما تميزت الرواية المغاربية باستلهامها للتراث الشعبي، كونها تصوير لواقع حياة الناس ونقده، لذلك نجد من خصائصها تناولها لمجموعة من القضايا، كقضية الفكر المتخلف وقضية المرأة وقضية الأرض[11]. ومن الناحية الفنية فقد تطورت عن التقليد لتركب موجة التجريب، فأصبحت بذلك مضاهية للرواية الغربية من النّاحية الأسلوبية، وعموما فالرواية المغاربية كانت سمتها إبراز الهيمنة السياسية على المثقفين، وإعطاء الأهمية الكبرى للأمور الفكرية على الأمور الفنية، مستخدمة المفردات والعبارات اللغوية البسيطة، أضفت بذلك على الرواية المغاربية خصوصية محلية من ناحية الشّكل والمضمون.

ثالثا . التعريف بإبراهيم الكوني، وبأهم أعماله:

إبراهيم الكوني أديب ليبي من قبيلة الطوارق، من أبرز الروائيين في بلاد المغرب العربي والوطن العربي والعالم، "ولد إبراهيم الكوني بغدامس في ليبيا عام 1948م، أنهى دراسته الإعدادية والثانوية في الجنوب الليبي، قصد معهد غوركي للآداب بموسكو، بحيث حصل على الليسانس ثمّ الماجستير في العلوم الأدبية والنقدية عام 1977"[12].

ومن المعلوم أن إبراهيم الكوني قد عمل "بوزارة الشؤون الإجتماعية بسبها ثم بوزارة الإعلام، فمراسلا لوكالة الأنباء الليبية بموسكو 1975م، ثمّ مندوب جمعية الصّداقة الليبية البولونية بوارسو 1978م، وعمل مستشارا بالسّفارة الليبية بموسكو 1987، ومستشارا إعلاميا بالمكتب الشعبي بسويسرا 1992م، كما قدّم الكوني للإذاعة العديد من البرامج المسموعة من بينها "خدعوك فقالوا" سنة 1969م، وبرنامج بعنوان "الثقافة للجماهير" سنة 1969م، وقد أجريت معه عدة لقاءات أدبية نشرت في العديد من الصّحف والمجلات العربية والعالمية والمحطات الفضائية، ومواقع شبكة الإنترنت من بينها: مطبوعات كالأسبوع الثقافي، وليبيا الحديثة، والإذاعة، والكفاح العربي، والثّقافة العربية، والشّرق الأوسط، وقنوات كالعربية الفضائية، وموقع عرب أون لاين، وموقع المنارة والإعلام"[13].

وله نتاج أدبي كبير نشرته العديد من الصّحف والمجلات المحلية والعربية والعالمية، كما شارك في العديد من الملتقيات والندوات والمهرجانات الأدبية على غرار مؤتمر الأدباء والكتاب الليبيين عام 1968م، ومن أهم أعماله الأدبية المنشورة . وأغلبها روايات .: البحث عن المكان الضّائع، البلبال، البئر، التبر، الخروج الأول إلى وطن الرؤى السّماوية، الرُّبة الحجرية، السّحرة في جزأين، الشّرخ، الورم، برق الخلّب، ثوب لم يدنس بسم الخياط، رسول السّماوات السبع، عشب الليل، فرسان الأحلام القتيلة، في زمان نسكنه في زمان يسكننا، الواحة، أنوبيس، قابيل أين أخوك هابيل؟، مراثي أوليس، من أساطير الصّحراء، من أنت أيُّها الملاك؟، نداء من كان بعيدا، نزيف الرُّوح، يعقوب وأبناؤه، يوسف بلا إخوته، نزيف الحجر، واو الصّغرى، المجوس في جزأين، بيان في لغة اللاهوت، ناقة الله، القفص، الدّنيا أيّام ثلاثة، نداء الوقواق، جنوب غرب طروادة، ترجمت هذه الأعمال لعدة لغات في العالم.

رابعا . رواية التبر، وأثر التراث الصّحراوي فيها:

1 . ملخص الرواية:

بطل رواية التبر أوخيّد، الذي أهداه زعيم قبائل "آهجار" "أبلقا"، تعلق به أوخيّد تعلقا شديدا بلغ درجة العشق، فمدحه قائلا: "أبلق، رشيق، ممشوق القوام، نبيل، شجاع، وفي[14]، وزينه بأفضل الملابس وأفضلها متمثلة في: السّرج والفرش والشّكيمة والجراب والزمام وحتّى السّوط. لباسه القديم باهت وشاحب"[15]. وفي غزوة من الغزوات المتكررة وقع في غرام ناقة حسناء تسكن في وادي "المغرغر"، ودفاعا عن ميوله العاطفي، "اشتبك الأبلق مع جمل رمادي كريه، وكانت معركة شرسة حيث مزقه غريمه بأنيابه في الرّقبة والفك، وأصابه في الخد الأيسر بجروح بليغة"[16].

ومع بزوغ الفجر أكتشف أوخيّد عُريانا، إثر تسلله إلى عشيقته ليلا في واد المغرغر، فقال الشّيخ حكيم قبيلة غرغر: "إذا أفلت الفارس من حسان القبيلة، فلا يجب أن يفلت "المهري" النّادر من نوق القبيلة، أنا أرى أن نستأثر نوقنا به"[17]، لأنّ سلالة الأبلق سلالة نادرة، لذلك يريدونه أن يتزاوج من نوقهم، وهو السّبب الذي جعله يُصاب بداء "الجرب"، فحزن أوخيّد وازداد حزنا عندما أخبره شيوخ القبيلة أنّ الأمل في تعافي الأبلق ضعيف جدّا، حتّى التقى بالشيخ "موسى" الذي دلّه على عشبة "آسيار"؛ وهي عشبة سحرية تزود الجسم بطاقة هائلة، ليُعالج بها "أبلقه"، إلّا أنّ مفتاح هذا العلاج لا يملكه إلّا الجنّ، "الجنّ هو الذي يملك المفتاح إلى الشّفاء من الألف داء"[18].

غير أنّ هذا النوع من العلاج سيجعله يصاب بالجنون، وكي لا تصاب الإبل بالعدوى عُزِلَ الأبلق فكان يُرافقه صاحبه، فمرات يوبّخه قائلا: "هذه نتيجة طيشك. ماذا كسبت. ماذا كسبت الآن من مغامراتك؟ ألم تسمع كلام الشّيخ موسى؟ الأنثى أكبر مصيدة للذكر. سيدنا آدم أغوته امرأته فلعنه الله وطرده من الجنّة. ولولا تلك المرأة الجهنمية لمكثنا هناك ننعم بالنّعيم ونسرح في الفردوس"[19]. وتارة أخرى يواسيه ويحثه على الصّبر: "لابد أن تصبر كثيرا إذا أردت أن تخرج من الورطة. الحياة هي الصّبر كما تقول العجائز"[20].

وبسبب المرض تغير لون الأبلق وراح أوخيّد يناجي الله ليشفي أبلقه: "يا ولي الصّحراء. إله الأولين. أنذر لك جملا سمينا. سليم الجسم والعقل. اشفِ أبلقي من المرض الخبيث واحمه من جنون آسيار. أنت السّميع أنت العليم"[21]، وراح على إثر هذا الألم يتساءل: "هل من الضّروري أن يمرّ الشّفاء عبر الجحيم؟ (...) هل ثمن الإثم فادح إلى هذا الحدّ؟ هل الأنثى بلوى إلى هذا الحدّ؟ هل عين الحسد شريرة وقاتلة"[22]؟ ثمّ قرّر أخذه إلى الشّيخ موسى ليُطهره من خطيئته، فيُشفى من مرض الجرب.

تمضي الأيّام وتزوج أوخيّد ورزق بولد، فعاش حياة اجتماعية جدّ صعبة؛ بسبب الحروب التي أصابتهم بالفاقة والجوع، ولضمان لقمة العيش اضطر أوخيّد إلى رهن الأبلق مقابل الطّعام، وكان يرى المتسبب الأول في هذه المأساة هو دخول المرأة في حياته: "جاءت حواء وفرّقته عن القبيلة وعن الأبلق. المرأة. المرأة. ألم يقل الشّيخ موسى أنّها هي التي طردت آدم من الجنّة"[23]؟ هذه المرأة التي طلب منها أحد أقربائها بأن تنفصل عن زوجها ليتزوجها هو، وظلّ ذلك الرّجل يضايق أوخيّد فكان يغريه بالذّهب، ولكنّ أوخيّد لم يكن يعبأ بالذّهب فراح يستفزّه بالأبلق، وكان هذا الأخير حقا نقطة ضعف أوخيّد، لأنّه التصق به

التصاقا روحيا، الأمر الذي تسبب في غيرة زوجته من الأبلق الذي لم يكن يفارقه لسنوات بحلوها ومرّها: "أصبح بعد الزواج ضرّة وغريما. بل عدوّا"[24].

ومن شدّة ما تلقاه أوخيّد من عذاب وبأس، استسلم وقرّر أن يطلّق زوجته، إذ لم يستطع الصُّمود أمام وصية القاضي؛ الذي حاول أن يقنعه بالعدول عن قراره، لكن دون جدوى: إذا عزم إبليس على أمر ظلّ يسهّل له ويزيح الأحجار عن طريقه حتّى يدفع بصاحبه إلى الهاوية. الله غالب!"[25]، وبعد صبر طويل كُتب الشّفاء للأبلق، فتعافى من مرضه، ليصطدم أوخيّد بإشاعة يدّعي فيها أصحابها بأنّ أوخيّد طلّق زوجته وتخلّى عن ولده بسبب حفنة من الذّهب، الأمر الذي أرهقه كثيرا، وصدَّق قطّاع الطّرق هذه الإشاعة، فكانوا يترصدون له لينالوا ممّا عنده من المال الموهوم في عقولهم، ففرّقوا بين أوخيّد وأبلقه، ولم يتمكنا من الاجتماع مجددا، افترقا افتراقا أبديا، بسبب قساوة قلب الإنسان، حتّى ظلّ أوخيّد يردد كلمات معانيها توحي بأنّه أدرك أنّ الجنّ أرحم من الإنسان: "لا تخشى الجنّ، فالجنّ أرحم من الإنسان، وما أقسى قلب الإنسان عندما يُملَأ بالحقد والكراهية وحب الإنتقام"[26]، فانتهت قصة الرواية نهاية مأساوية؛ بحيث مات أوخيّد ومات أبلقه.

2 . تجليات أثر التراث الصّحراوي في الرواية:

إن أرحب مجال لاستيعاب واستدعاء التراث الصحراوي ، حسب رأينا ، هو الأدب ، وتحديدا جنس الرواية ؛ كونها وعاء يجمع بين مختلف العلوم والثقافات، و باعتبارها كذلك جزء من الثقافة البشرية، وهو ما يمكننا التدليل عليه من خلال تطرقنا لمظاهر أثر التراث الصحراوي في رواية التبر من خلال ملامسة أثره من زوايا متعددة .

أ. أثره في فكرة الرواية:

ليس غريبا أن نجد إبراهيم الكوني ينطلق في كتاباته من التراث الصّحراوي؛ نظرا لانتمائه لبيئة صحراوية من جهة، ومن جهة أخرى لكونه سخر قلمه لإبراز هذا الموروث الثّقافي الأصيل والغني، ورسم مكانه بين الثّقافات العالمية الأخرى، الأمر الذي انعكس إيجابا على الأدب العربي عموما، والأدب المغاربي خصوصا، إذ بات من الضّروري تغيير الفكر الاجتماعي والثّقافي لفكرة مراجعة التراث وتوظيفه، "ليس من أجل الانغلاق على الذّات، وتقديس الأجداد، وتمجيد الماضي، والحنين الرّومنسي إلى إعادته، بل لمساءلة الذّات من خلال مساءلة الماضي، والوقوف على الخصائص المميزة، والهوية الخاصّة"[27].

ولم تكن فكرة اختيار الكوني كلمة "التبر" عنوانا لروايته اعتباطا، وإنّما كان مبني على أساس البيئة الصّحراوية الغنية بهذا المعدن (الذّهب)، ليغوص بنا في هذا الإقليم الجغرافي الكبير، ما جعلها مغايرة للرواية الغربية التي كانت تعتبر "بوصفها المثال الأعلى بالنسبة إلى الرواية العربية، وظهور روايات أخرى تنتمي إلى أمريكا اللاتينية، واليابان، وإفريقيا... وتميزت هذه الروايات بشكل فني مغاير للشكل الفني في الرواية المغاربية"[28]، والكوني ، من وجهة نظرنا كان يدرك قيمة التراث المتراكم في الكتب القديمة، فلم يعد هناك داع لترك الرواية العربية ملتصقة بالرواية الغربية، فسار على درب أولائك الذين "قطعوا صلة الرواية العربية بالرواية الغربية، ونسبوها إلى هذه الأشكال القصصية والسّردية الموجودة في بطون كتب التراث"[29].

كما أن ابراهيم الكوني وجد في توظيفه للتراث الصّحراوي ذلك الجمال الواسع، والذي لا تحتضنه إلّا الرواية، وقد تبين لنا في هذه الرواية أنّها على قدر عظيم من الجمال الفكري، حيث اطلعنا الروائي على ما يفعله الذّهب في تلك النّفوس التي اعتادت على بيع ذممها، وكيف يستغل المالكون له أعوص ظروف النّاس ليشتروا منهم أغلى ما يملكون، حتّى ولو كانت نفوسا وأرواحا إنسانية، والمقطع الموالي يبين لنا قيمة هذا المعدن عند الروائي حين يقول : "لا يحتاج إليه الإنس فقط وإنّما الجنّ أيضا. صراع الإنس والجنّ بسببه. وصراع الشّيطان والإنسان بسببه. وصراع الإنسان والإنسان بسببه. فكيف لا تحتاج إليه؟ دخلت بسببه الحبس، ووقفت في الأسر، نكّل بي زنوج بامبارا. ولكن لا تنس أنّه بدونه لما حققت ما حققت"[30]!.

وكون الروائي في حاجة ماسة إلى التعبير عن بيئته، وجد نفسه مضطرا لتوظيف التراث الصّحراوي في رواية التبر، حتّى تكون رواية مقبولة عند القرّاء، فالحاجة"إ إلى التعبير عن البيئة المحلية بطرائق مفهومة ومقبولة من الجميع، ألزمت الكاتب العودة إلى التراث ليتمكن من التعبير عن بيئته ومكانه، وخصوصا أنّ التراث العربي يمتلك القدرة على التجدد، لذا نجده حاضرا في وجدان الكاتب"[31]، وهذا ما نلمسه في الكوني بحيث أنّ التراث الصّحراوي متجذّر في وجدانه، لذلك فأغلب رواياته أفكارها مستلهمة من التراث الصّحراوي، وفي هذه الرواية إنطلق انطلاقة حقيقية من التراث الذي لا يخفى أثره في كتاباته، فهو لم يكن من أصحاب الأفكار الذّين قال فيهم أحد النّقاد: "فالتّوظيف الحقيقي للتراث لا يعني المحافظة الشّكلية على قداسة التراث والصّلاة في محرابه، بقدر ما تكون عملية تغيير وتطويع وتحوير إلى حدّ لا يبعده عن خطوطه"[32].

ب . أثره في بناء الشّخصيات:

إنّ استدعاء الكوني للتراث الصّحراوي فرض شخصيات متعددة ومتنوعة، عبّر بها عن جوانب الحياة بطابع فني أصيل، فقد "أصبحت الشّخصية التراثية في رواياتنا رمزا فنيا يعبر عن الحياة بجوانبها كافة سياسية، اجتماعية، دينية"[33]، وجعل لها دورا في نقل الأحداث، لقدرتها على العيش في الصّحراء والتنقل بين شعابها الممتدة، وتضاريسها المعقدة، ورمالها الكثيفة، لذلك وجدت هذه الشخصيات متنوعة ومقسمة كما يأتي:

شخصية "أوخيّد" وهي الشّخصية البطلة في الرواية ، والمحرّكة لأحداثها ، فهي شخصية أساسية محورية ؛ كون أن تطورات الأحداث مبنية عليها، وفي اعتقادنا أنّ أوخيّد شخصية تراثية تاريخية منتمية للتراث التارقي ، لأنّ الروائي نقل بواسطته حوادث تاريخية. وكذلك الشخصية الثانية في الرواية ، وهي شخصية " الأبلق " وهي شخصية الجمل الذي ارتبط بشخصية البطل أوخيد ، والجمل عنصر من عناصر الثقافة الصحراوية لاسيما التارقية، حيث نجده في الرواية يمثل أحد شخوصها الرئيسيين ، إذ نقرأ في هذه الرواية كيف تحصل أوخيد على هذا الجمل من زعيم قبائل آهجّار ، وهو جمل مهري اسمه الأبلق ، فأعطاه أوصافا لا توجد فصيلة تشبهه في الصّحراء، فيقول: "هل سبق لأحدكم أن شاهد مهريا أبلق؟ ويجيب نفسه لا. هل سبق لأحدكم أن رأى مهريا في رشاقته وخفته وتناسق قوامه؟ لا. هل سبق لأحدكم أن رأى مهريا ينافسه في الكبرياء والشّجاعة والوفاء؟ هل سبق لأحدكم أن رأى غزالا في صورة مهري؟ لا. هل رأيتم أجمل وأنبل؟ لا. لا. لا. اعترفوا أنّكم لم تروه ولن تروه"[34].

فكان يفاخر به ويعتز برشاقته ومشيته، وفخامة قامته، فاعتنى به وكساه بأجمل الثياب "من سرج وفرش وشكيمة وجراب وسوط"، حتّى وقع الأبلق في غرام ناقة من نوق وادي "المغرغر"، فتشابك مع جمل وخذه بعضة أصيب على إثرها بداء الجرب، فقرر أوخيّد هو أيضا بدوره أن يتزوج، وقضى سنوات في زواجه، لتكون تلك المرأة سببا في شقائه ثم في نهايته المأساوية، إلّا أنّه لم يتخلّ عن أبلقه، حين غُرِر به ليطلق زوجته ليتزوج منها رجل آخر، وتأتيه على إثر ذلك تهمة أنّه تخلى عن زوجته وولده بسبب حفنة من ذهب، فتضاف مأساة أخرى؛ وهي ترصد قطاع الطّرق له، لينالوا ما عنده من ذهب، فقتلوه وقتلوا أبلقه. ومن هنا يتجلى لنا نوع من الشّخصية التّاريخية التي لعب التراث الصّحراوي الدّور الأساس في تشكلها، وأضاف لها الروائي شخصية مساعدة .كما رأينا سابقا . والمتمثلة في المهري الأبلق، ليتقلد بذلك بطل الرواية مواقف وتصرفات تجعل القارئ يجزم بتراثيتها الصّحراوية.

أيضا ،شخصية "الشّيخ موسى": وهي شخصية استدعاها الروائي من التراث الصحراوي الصوفي ، فهي شخصية دينية صوفية، "فالشّخصية الصّوفية ، هي من الشخصيات التي ترتبط عادة بالصحراء ، فهي في الثقافة الصحراوية عموما تمثل رمزا للخلاص، فنجد كاتبنا يلجأ إليها كي يتجاوز حدود الزّمن وينتقل إلى عالم يمنحه مساحة أكبر من حرية التعبير، حتّى إنّنا نستطيع أن نصف الشّخصية الدّينية بأنّها برّ الأمان للكاتب، يعبر من خلالها ويتخذها مرشدا إلى حقيقة الأمور وبواطنها"[35]، فأوخيّد قد أرهقه كثيرا مرض أبلقه، فظل يتنقل به بين شيوخ القبائل لعلّه يجد ترياقا له يخلّصه من مرضه، وتزول بذلك أوجاعه، حتّى التقى بالشيخ موسى الذي دلّه على عشبة "آسيار"؛ وهي نبتة سحرية تزود الجسم بطاقة هائلة، بيد أنّ هذا العلاج لا يملكه إلّا عالمَ الجنّ، وأنّ هذا النّوع من العلاج سيصيب الأبلق بالجنون، وعندما استفسر منهم الشّيخ موسى عن سبب إصابة البعير بهذا الدّاء، ذكّرهم بأنّ الأنثى أكبر مصيدة للذّكر فسيدنا آدم . عليه السّلام . أغوته امرأته فطُرِد من الجنّة، وأخبرهم بأنّه لولا تلك المرأة لمكثنا هناك ننعم بالنّعيم ونسرح في الفردوس، فكانت بذلك موعظة من الشّيخ موسى حتّى لا يتورطوا مرّة أخرى في مثل هذا البلاء، الذي كان عاقبته مرض وداء.

كما كانت هذه الكلمات بلسما على قلب أوخيّد؛ كون الوازع الدّيني متأصل فيه، وبحضور هذه الشّخصية الدّينية جعلت هذه الرواية تنال إثراء روائيا صادقا، عميق الدّلالات والوظّائف والأهداف، كما تراءت لنا من خلاله تجليات التراث الصّحراوي، من خلال ذكره عشبة آسيار وكذا الترفاس[36] اللذين هما من النباتات الصّحراوية. وقد ظهر لنا في هذه الرواية كيف تمكنت شخصية الشّيخ موسى من بسط سلطانها على بقية شخصيات الرواية، ونلحظ ذلك من خلال ذكر أوخيّد المتكرر للشيخ موسى حين يعرض أقواله مستشهدا بها في كلّ حدث يستدعي ذلك، فكانت لشخصية الشّيخ موسى "سلطة معنوية تؤكد على قوة الشّخصية وتجتذب إليها الشّخصيات الأخرى التي ستتعلق بها وتجعل منها مركز الإهتمام"[37].

شخصية "آيور": وهي شخصية اجتماعية؛ مستقاة من المجتمع الصحراوي ،وهي في الرواية زوجة البطل أوخيّد، وهي الشّخصية التي مثلت المرأة في هذه الرواية، وغالبا فإنّ "كتّاب الرواية المغربية لم يكونوا يلحون على الجانب المظهري في تقديمهم لنموذج المرأة الجاذبة بحيث يبرزونه في المقام الأول من خلال تركيزهم على ملامح الجمال والتناسق في جسد المرأة"[38]، وإن كان الكوني لم يشر إلى هذا صراحة، إلّا أنّنا نلمسه عندما قال الرّاعي لأوخيّد: إنّ قريب زوجتك يطلب منك أن تطلق زوجتك كي يتزوج منها

هو، مقابل أن يرجع لك الأبلق، لأنّ أوخيّد كان قد رهن الأبلق لـ "دودو" قريب زوجته التّي كان يحبها منذ الصّغر، فكيف نفسّر إذن وقوع أوخيّد ودودو في حبّ آيور؟.

وقد خرج الكوني عن المقولة: "أمّا الصّفات الباطنية والمزاجية الأخرى فقلما يجري الحديث عنها وذلك بهدف الإبقاء على المظهر الخارجي كمصدر دائم ووحيد الإنجذاب لدى شخصية المرأة"[39]؛ فكان من أولائك الذّين تطرقوا إلى الصّفات الباطنية والمزاجية للمرأة، حين أشار إلى غيرة آيور من الأبلق عندما رأت تعلق زوجها أوخيّد به، وعندما قال بأنّها فرقته عن الأبلق وعن القبيلة: "جاءت حواء ففرقته عن القبيلة وعن الأبلق. المرأة. المرأة. ألم يقل الشّيخ موسى أنّها التي طردت آدم من الجنّة"[40]؟، وكذلك عندما أشار إلى أنّ المرأة يمكنها أن تنقلب إلى عدوّ ماكر في أيّ لحظة، وهذا بسبب الغيرة التي ولّدها في قلبها الأبلق، فهي صفات باطنية في المرأة وظّفها الروائي في هذا النّص، فالتصقت بآيور كلّ الصّفات السّلبية لأنّها كانت السّبب المباشر في المتاعب التي عاشها أوخيّد مع أبلقه، إلّا أنّها تبقى شخصية جذّابة تمكنت من استمالة رجلين، غُرست صورتها في قلوبهما، والملاحظ هنا أنّ الروائي وبسبب توظيفه للتراث الصّحراوي، لم يُظهر آيور بأنّها تلك المرأة التي تتميز بالمعرفة أو الذّكاء أو الوعي مثلا، وإنّما أظهرها بصفات مُضمرة نستشفها من سياق النص.

شخصية "دودو": كانت شخصية دودو تلك الشّخصية المتسلطة، بحيث كان يحاول أن يسيطر على أوخيّد بماله وذهبه، ولا يخفى علينا أن توظيف مثل هذا النّوع من الشّخصيات "سيشكل علامة على إيديولوجية لا عقلانية يعاد نتاجها على المستوى الأدبي من خلال تصوير النّظم التسلطية السّائدة في المجتمع وتجسيدها إبداعيا ثمّ إشاعتها في نماذج تخيلية قريبة من الأصل بهذا القدر أو ذاك"[41]، وها هو الواقع الذي صوّره لنا الروائي في هذا النّص يعكس ذلك، إذا كان دودو غنيا بسبب الذّهب الذي جمعه بعد إغارته على قبائل "بامبارا"، وحين مس النّاس الجوع والطّوى بسبب الحروب، قابله من ضحاياها أوخيّد الذي كان يسعى إلى تأمين الغذاء لزوجته وولده، فاستغلّ فرصة غناه ليرهن منه الأبلق، ولم يتوقف هنا، بل جعله وسيلة ضغط ليطلّق أوخيّد زوجته، فيتمكن هو من الزواج منها، وما كان من أوخيّد إلّا أن استسلم للأمر الواقع كما أشرنا إلى ذلك في عنصر ملخص الرواية.

ج . أثره في بناء الأحداث والمواقف:

لا شكّ أنّ الأحداث والمواقف مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوظّائف التّي تؤديها الشّخصيات؛ كونها الحامل والمجسّد لذلك الموروث الصّحراوي، فذاكرة الإنسان "تختزن موروثاته عبر الزّمن، وتظهر هذه الموروثات

المتعاقبة في مواقف الإنسان المتعددة في حياته، والرواية تستمد أحداثها من هذه المواقف، وإن لم تكن الأوفر حظّا في استعارة تلك الموروثات، وإلّا فبماذا نفسّر هذه الومضات التّراثية في رواياتنا؟"[42]، لذلك نجد في هذه الرواية التي بين أيدينا أنّ التراث الصّحراوي ساهم بشكل كبير في بناء أحداث ومواقف الرواية.

فنجد أن أحداث الرواية تبدأ بالفرحة العميقة التي غمرت أوخيّد بالأبلق، واقترنت هذه الفرحة بالسّعادة الواسعة والتي كان المتسبب فيها زعيم قبائل آهجار الذي أهداه هذا الأبلق، فقيمة الهدية تكمن في مانحها، وبالمقابل كلّ من رأى الأبلق إلّا وأعجب به، بما فيهم شيخ القبيلة الذي صاح في رجاله قائلا: "كيف لم تقولوا لي إنّ ضيفنا النّبيل يملك مهريا بهذا الكمال؟ مهري أبلق رشيق مثل الغزال، هذه سلالة انقرضت من الصّحراء منذ مائة عام. فمن أين حصلت عليه بالله؟"[43]، وليحافظ والد أوخيّد على الزّعامة في نسله ويحفظها من الغرباء، أراد منه أن يتزوج من ابنة عمّته شقيقة "موخامد"، وتوسط في ذلك بالشّيخ موسى، لكنّ أوخيّد رفض، لأنّه يرى أنّ هذه الفتاة "فتاة بليدة، مطفأة العينين. لا شرر ولا شعر. لا جاذبية ولا مواهب. فتاة عادية ذات ملامح مرضية. ثمّ إنّها لم تخطر له على بال في يوم من الأيّام. لم ير فيها المرأة. لم ير فيها الأنوثة، فكيف يجرؤ ويتزوجها؟ لعن المشيخة، وبعث لوالده بالرّفض"[44]. فغضب منه والده ودعا عليه دُعاء أحرق قلبه، وتخلى عن المشيخة ليتزوج من الفتاة التي أحبها وهي آيور، فظهر أوخيّد بوجه لم يألفه سكان الصّحراء، إذ أنّه من عاداتهم التّراثية عدم الخروج عن طاعة آبائهم والتّمرد عليهم، وكانت النّتيجة أن تبرأ الوالد من ابنه أوخيّد.

ومن الطّبيعي أنّ الأبلق لا يستطيع العيش من دون أبناء جنسه، فكان يطوف على النّوق السّارحة في وديان الصّحراء، وبسبب فحولته أصيب بداء الجرب، فسيطر المرض على كامل جسمه، فذهب بريق جماله، "فكلّفته الفحولة العمياء داء الجرب. عاد من إحدى الغزوات كئيبا. انطفأ بريق المرح في عينيه الكبيرتين ودلّى شفته السّفلى أكثر"[45]. فبسبب الدّاء الذي أصيب به الأبلق، حزن أوخيّد حزنا عميقا وخشي على أبلقه من الموت، فالتقى بالشّيخ موسى الذي أخبره أنّ شفاء الأبلق في عشبة آسيار كما أشرنا إلى ذلك سابقا، لكنّ هذه العشبة ستصيبه بالجنون، لأنّ التّداوي بها يمرّ من باب الجنّ، فازداد أوخيّد حزنا وظلّ يطوف بأبلقه حول الخبراء علّه يجد له دواء يشفيه من دائه في غير هذه العشبة، ولكنّه لم يجد بديلا عنها فتناولها الأبلق وأصيب على إثرها بالجنون، وظلّ أوخيّد يُكابد جنون الأبلق من جهة، ويُقاوم عطش الصّحراء من جهة أخرى. ثمّ ينتقل بنا الروائي إلى حدث آخر وهو شفاء الأبلق من الدّاء

ومن الجنون، ليقرر أوخيّد بعد ذلك التّطهير والتّكفير عن الخطيئة، والطّهارة هنا كانت بالمفهوم الصّوفي؛ المفهوم الذي ينزاحون به عن مفهومه الحسّي إلى دلالته الرّوحية، لذلك نلمس في هذه الرواية أنّ الروائي يجعلك تعيش فيها بين عالمين؛ عالم محسوس وعالم روحي، وبعد غياب طويل من أوخيّد عن أهله يترك أبلقه يسرح في الوديان، ويلتحق هو بزوجته وولده.

ظنّ أوخيّد أنّ معاناته قد انتهت، ليصطدم بغريمه دودو الذي ادّعى أنّه كان يحبّ هذه المرأة منذ القدم، فبعد أن ساومه بالطّعام .كما رأينا ذلك سابقا . رهن منه أبلقه، ولكي يرجع له أبلقه طلب منه أن يطلّق زوجته، حتّى يتمكن دودو بالزواج منها، فظلّ أوخيّد يقاوم ويقاوم، فكانت نهاية تلك المقاومة استسلام وخضوع للأمر الواقع، فطلّق زوجته وتخلى عن ابنه، ولم يكتف دودو بهذا، بل راح يذيع الإشاعات والأخبار الكاذبة، فانتشر بين الناس أنّ أوخيّد طلّق زوجته وتخلى عن ابنه بسبب حفنة من الذّهب، فلم يتحمل أوخيّد هذه الإشاعات، "صبر على كلّ البلايا ولكن كيف يصبر على شئ كهذا؟ إنّه أكبر من العار. إنّه أسوأ من الموت. ليته مات. لا. لا. لا. ينبغي أن يموت قبل أن يصحح هذا الخطأ. لابد أن يقنع الناس بحقيقة ما حدث"[46]، وهنا تغير موقف أوخيّد فأصبح يفكر في الإنتقام، وقرّر أن يقتل من سرق منه زوجته وخطف منه ولده؛ دودو، فقتله، ولكنّ رجال دودو الذين تسابقوا لتركته التي خلّفها والتي على رأسها "التّبر"، في طريقهم كانوا يطاردون أوخيّد لينتقموا لسيّدهم، فوقع بين أيديهم، وطبعا قتلوه!، فكانت نهاية الرواية تراجيدية؛ كون نهايتها ارتبطت بموت بطلها.

وما يمكن ملاحظته من خلال معظم هذه الاشياء المسرودة ، هو تمكن الروائي من جعل التّراث الصّحراوي يحدد مواقف وأحداث الرواية، فتراه كيف جعل أحداث الرواية مرتبطة ارتباطا وثيقا وعميقا بالأساطير الصحراوية التي هي جزء لا يتجزأ من الموروث الصّحراوي، الأمر الذي ولّد علاقة وطيدة بين الأحداث والمواقف الأسطورية، تجعل من القارئ عاجزا عن الفصل بينهما، فالتّراث الصّحراوي الجليّ أثره في هذه الرواية، جعل الأحداث والمواقف تتراوح بين الخيال والواقع، وهذا عنصر من عناصر أسرار جماليات السّرد في هذه الرواية.

د . أثره في تشكيل الزّمان والمكان:

إنّ الزّمان والمكان عنصران حكائيان مهمان في الرواية، فهما خلفية للأحداث التي توظفها الشّخصيات، فليس من الممكن أن تتطور أحداث الرواية إلّا في إطارهما، والروائي هو الذي يتحكم في

ذلك، من خلال ما يوظّفه من رُؤى وانطباعات، ولأنّ الكوني وظّف التّراث الصّحراوي في هذه الرواية، فإنّ هذا الأخير بدوره قد أثّر على تشكيل الزّمان والمكان مع ما يتناسب مع هذا النّوع من السّرد.

فأمّا من ناحية الزّمن، أعتقد أنّ الكاتب في هذه الرواية لا يلتزم بتلك النّظريات التي سنّها النّقاد في التّنظير للرواية سواء كانت عربية أو غربية، بل فسح الكوني مجالا واسعا يبحر فيه بأفكاره، فترك الزّمن معلّق بالأذهان، ينبغي للقارئ أن يستنتجه مستعينا في ذلك على خلفياته الثّقافية والمعرفية والإدراكية، فتراه عندما أشار إلى أنّ أوخيّد في فترة زمنية عانى فيها من الجوع ونقص المؤونة،فاضطر إلى رهن أبلقه مقابل الطّعام بسبب الحروب، يدرك هنا القارئ أنّ هذه الحرب كانت مع الطليان زمن احتلال هذا الأخير لليبيا،هذا بالنّسبة للزمن البعيد. أما بالنّسبة للزمن القريب فهو جلي متاح للقارئ أن يدرك حدوث الكثير من الوقائع، والسّبب في تجليه بهذا الوضوح هو أنّ حركية الأحداث في الصّحراء تختلف عن غيرها من الأماكن والفضاءات، فسيرها في فضاء الصّحراء يمس أناء الليل وأطراف النّهار، وهنا سنستدعي بعض العبارات الدّالة على الزّمن . للتمثيل وليس الحصر .: (نهارا، الليالي المقمرة، في الظلمات، الفجر، السّفر الليلي، المساء، منتصف الليل، مواسم الأمطار، الصّباح، قبل أن يتضح الخيط الأبيض من الخيط الأسود، عتمة الليل، عمّت الظلمة، الشّروق...)، إذن فهي أزمنة ارتبطت بالسّفر والترحال الذي عاشه أوخيّد مع أبلقه، تحمّل في طياته عويص الأسباب لبلوغ أسمى الأهداف، ساهمت كلها في تشكيل الزّمن في مشهد نستطيع أن نصفه "بالدّرامي"، في حالات متعددة؛ نفسية، مزاجية، اجتماعية، دينية (صوفية) وثقافية، أوصلت الفكرة إلى القارئ وكل هذه الحالات متشبعة بنكهة بيئة صحراوية.

وأمّا من ناحية المكان، فقد وضّح التراث الصّحراوي طريقها بواقعية مطلقة، كما وضّح دلالاتها الاجتماعية، بحيث اختار السّارد مكانا واحدا لسرد الأحداث وهو الصّحراء بصورها المتعددة، ويتجلى ذلك من خلال هذه المقاطع التي أوردها الروائي حين يقول : "السّرج صنعه أمهر الحدادة في "غات"، والفرش كليمة مزركشة جاء بها التّجار من "توات"، والشّكيمة ضفرّتها عجائز قبيلة "إيفوغاس" في "غدامس"، والجراب طرزته أنامل حسناوات "تامنغست"[47]، فنجد ان كل الأماكن التي ذكرها تنتمي لبيئة صحراوية بداية من غات المدينة الليبية ، إلى توات الواقعة في الجنوب الغربي للجزائر إلى غدامس الليبية كذلك إلى تامنغست المدينة الجزائرية الواقعة في أقصى جنوب الجزائر في الصحراء الجزائرية ، كذلك نلمس ذلك في قوله في أحد مقاطع الرواية : "اكتشف أنّ أبلقه الرّشيق قد وقع في غرام ناقة حسناء تملكها قبيلة تعودت أن تقضي الرّبيع في وادي "المغرغر"[48]، أيضا في قوله في موطن آخر : "في تجواله بين النّجوع

حصل على زيت غريان من رُعاة قبائل "أولاد بوسيف"[49]، وايضا قوله : "عرّافو "كانو" يرافقون قوافل التّجار في الصّحراء"[50]، وكذلك في مقطع آخر :"فوق "قرعات ميمون" تدلت سحب بنفسجية كثيفة وتلاحمت على رؤوس الجبال المتباعدة في الخلاء الأبدي الممتد"[51].

فالكوني من خلال هذه المقاطع، نجده قد شكل المكان بكل حدوده، برؤية صحراوية الأمر الذي يجعلنا ندرك صيرورة الأحداث داخله بكل وضوح، كما أنّه استطاع أن يطلعنا على تلك العلاقة الوطيدة بين هذه الأماكن والتراث الذي وظّفه في هذه الرواية، فلم يكن هذا التّوظيف وفق خلفية عصبية، ولم يكن استعراض للملكات اللغوية والثّقافية والمعرفية التي يتميز بها الروائي، بل وجد نفسه مجبر لإبراز تلك الرّابطة المتينة بين الوقائع والمكان، تحت سُلطة الموروث الصّحراوي الأصيل.

الخـــــاتمـــــــة:

من خلال ما تطرقنا إليه في هذا البحث ، وبعد أن وقفنا على الأثر الذي خلفه توظيف التراث الصحراوي في رواية التبر لإبراهيم الكوني خلصنا إلى نتائج جوهرية نوجزها في الآتي :

– لقد وظف الكاتب ابراهيم الكوني التراث الصحراوي بشكل سلس ، واستدعى العديد من الأمكنة الصحراوية بطريقة فريدة تنم عن قدرة ابداعية كبيرة.

– رسم الكاتب ابراهيم الكوني شخصيات الرواية سواء كانت رئيسة أو ثانوية بخلفية تراثية صحراوية ، وجعلها تنقل الواقع الصحراوي للعالمية بطريقة فريدة.

– لقد ساهم توظيف التراث الصحراوي في رواية التبر لإبراهيم الكوني مساهمة فعالة في ابراز الثقافة والعادات والتقاليد الصحراوية لاسيما منها التارقية ، وإخراجها للعالم.

. –. استطاع ابراهيم الكوني أن يوظف التراث في رواية التبر وفق مقاربة ذكية سعى من خلالها لتوثيق الإرث الصحراوي في مخيلة القراء والتعريف به ونشره.

– كان لتوظيف التراث في العمل الروائي "التبر" أثر كبير في إبراز جمالية الإبداع في تلك الرواية.

– لقد كان توظيف التراث في الرواية توظيفا طبيعيا لا يعتريه أي تكلف أو تصنع ، وهو ما ينبي عن عبقرية المؤلف وخبرته الكبيرة في استدعاء التراث الصحراوي وتوظيفه في الرواية .

هوامش:

[1] . عادل فريجات، مرايا الرواية دراسات تطبيقية في الفن الروائي، إتحاد الكتاب العرب، 2000، ص09.

[2] . عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، الدّار البيضاء، المغرب، 2000، ص20.

[3] . المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[4] . محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص24.

[5] . جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1984، ص63.

[6] . المرجع نفسه، ص63.

[7] . عبد الحميد عقار، مرجع سابق، ص26.

[8] . صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب العربي، بسكرة، الجزائر، الطبعة الأولى، ص15.

[9] . المرجع نفسه، ص16.

[10] . عبد الحميد عقار، مرجع سابق، ص20.

[11] . ينظر حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1985، ص535 . 540.

[12] . ar.wikipedia.org/wiki، إبراهيم الكوني، بتاريخ: 25 / 01 / 2022.

[13] . عبد الصّمد جلايلي، الفضاء الأسطوري في روايات إبراهيم الكوني، رسالة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2017 / 2018، ص17.

[14] . الكوني، إبراهيم، رواية التّبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1992، ص08.

[15] . نفس المرجع ، ص09.

[16] . نفس المرجع، ص14.

[17] . نفس المرجع، ص16.

[18] . المرجع نفسه، ص21.

[19] . المرجع نفسه، ص22.

[20] . المرجع نفسه، ص24.

[21] . المرجع نفسه، ص30.

[22] . نفس المرجع، ص40.

[23] . نفس المرجع ، ص95.

[24] . المرجع نفسه، ص118.

[25] . نفس المرجع، ص123.

[26] . المرجع نفسه، ص131.

[27] . محمد رياض وتار، مرجع سابق، ص10.

[28] . نفس المرجع ، ص11.

[29] . المرجع نفسه، ص11.

[30] . الكوني، إبراهيم، مرجع سابق، ص124.

[31] . حسن علي المخلف، التراث والسّرد، وزارة الثّقافة والفنون والتراث، قطر، الطّبعة الأولى، 2010، ص26.

[32] . حمادي صبري مسلم، أثر التراث الشّعبي في الرواية العراقية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1980، ص159.

[33] . حسن علي المخلف ، مرجع سابق، ص49.

[34] . الكوني، إبراهيم، مرجع سابق، ص07.

[35] . حسن علي المخلف، مرجع سابق، ص60.

[36] . ويسمى كذلك بالكمأ وهو فطر بري موسمي نادر الظهور، ينمو بعد نزول المطر في الصّحراء تحت التّربة.

[37] . حسن بحراوي، بنية الشّكل الروائي (الفضاء ـ الزّمن ـ الشّخصية)، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، الطّبعة الأولى، 1990، ص270.

[38] . المرجع نفسه، ص276.

[39] . المرجع نفسه ، ونفس الصّفحة.

[40] . الكوني، إبراهيم، مرجع سابق، ص95.

[41] . حسن بحراوي، مرجع سابق، ص279.

[42] . حسن علي المخلف، مرجع سابق، ص23.

[43] . الكوني، إبراهيم، مرجع سابق، ص15.

[44] . المرجع نفسه، ص71.

[45] . نفس المرجع، ص19.

[46] . نفس المرجع، ص136.

[47] . نفس المرجع، ص09.

[48] . المرجع نفسه، ص13.

[49] . المرجع نفسه، ص25.

[50] . نفس المرجع، ص31.

[51] . نفس المرجع، ص33.